هذا ديننا ... فلنعتزّ به

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 19 ذو القعدة 1433هـ الموافق لـ 5 أكتوبر 2012م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ 01 ﴾ "سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿ 102 ﴾ "سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿ 70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ 71 ﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع :

هذا ديننا ... فلنعتزّ به

معاشر الإخوة الكرام ،

عجبت لبعض المسلمين ، لو يسأله غريبٌ عن الدّيار من الدّيانات الأخرى ، يتحرّج من إسلامه ويقول : (أنا مسلمٌ) متلعثمًا بصوتٍ منخفضٍ ، كأنّ انتسابه إلى الإسلام يدلّ على عاهةٍ أو عيبٍ قد تلبّس به ، في حين كان ينبغي أن يعتزّ بإسلامه ، وأنّ الإسلام أفضل نعمةٍ على الإطلاق.

قال تعالى : " . . . **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿8﴾** " **سورة المنافقون** .

حينما ترى مسلمة تدّعي الإسلام ، ثمّ تستحي بالحجاب الشّرعيّ أن ترتديه إذا سافرت إلى فرنسا أو بريطانيا أو حتّى تركيا ، ولقد رأيت في الثّمانينات نساءًا من شبه الجزيرة ، دخلن الفندق بالجلابيب حين وصلن ، وخرجن متبرّجاتٍ مائلاتٍ مميلاتٍ ، أتدرون لماذا فعلن ذلك ؟ ، لأنّ التزامهنّ لم يكن عن قناعة ، إنّما كان عن عادةٍ ، وهذا هو النّفاق بعينه ، فهنّ غير مؤمنات باللّباس الشّرعيّ ، ولذلك نزعنه حينما وصلن إلى بلاد الكفر.

في حين تجد مغنّية فرنسيّة (DIAM'S) ، تابت في السّنوات القليلة الماضية ، ترتدي حجابًا شرعيًّا ، وتتحدّث في القنوات الفرنسيّة ، أنّها لم تحسّ يومًا بالطّمأنينة وراحة البال والسّكينة كما تحسّ بها اليوم ، ورأيتها وهي واثقة تعتز بإسلامها وحجابها واختيارها واسمها ديامس .

الإسلام مبادئ ليس مظاهر ، الإسلام مواقف لا شعارات ، الإسلام التزام لا انتساب موروث ، وإنّما العزّة للمعاني والمقاصد لا للمباني والأشكال .

فيا فرحتاه لفرنسيّة أسلمت ، ووا أسفاه لجزائريّة لم تتحجّب .

لماذا هناك من يتحرّج بإسلامه وكأنّه نقيصة ، في حين يعتزّ مسلم آخر بدينه ، وإنّما تحرّج من تحرّج بإسلامه لجهله بعظم هذا الإسلام ، واعتزّ من اعتزّ بإسلامه والتزامه من عرف الإسلام حقّ المعرفة وباشر الإيمان قلبه وأدرك حقائقه وأنواره.

قالت أمّ سعد لسعد : (**إنّك تقول إنّ دينك جاء بمكارم الأخلاق وصلة الأرحام**) ، وكان سعد من أبرّ النّاس بأمّه ، (**فوالله ما أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتّى تكفر بدينك ، فإذا مِتُّ عُيِّرْتَ بي ، فيقال يا قاتل أمّه**) ، أو إذا أرادوا أن يطعموها فتحوا فمها بالعصا ، لأنّها تأبى أن تأكل وتشرب ، حتّى يعيّر بها طيلة العمر .

فقال لها : (**يا أم سلي أودعي ، فوالله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ، ما كفرت بديني**) ، وعدلت أمه عن صومها ، ونزل الوحي يحيي موقف سعد الّذي اعتزّ بإسلامه ، و لم يكن ليتركه ولو بسبب أحبّ النّاس إليه وهي والدته أمّه.

فأنزل الله عزّ وجلّ قوله :

" وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ 15 ﴾ " سورة لقمان.

إنّ هذا الإسلام ، هذا النّور المبين ، هذه الظّلال الّتي أظلّنا الله بها ، من ظلمات الجاهليّة والكفر ، لا يملك الواحد إلاّ أن يعتزّ بهذا الإسلام ، وكيف لا يعتزّ بدين قامت السّماوات والأرض عليه .

قال تعالى : **" وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ 111 ﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿ 112 ﴾ " سورة النّساء.**

وقبل ذلك قال سبحانه : **" إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿ 105 ﴾ " سورة النّساء.**

روي أنّه نزل في رجلٍ سرق درعًا ، فلمّا خاف أن تظهر عليه رمى بها في دار يهوديٍّ ، فلمّا وُجِدت الدّرع أنكر اليهوديّ أن يكون أخذها ، وذكر السّارق أنّ اليهوديّ أخذها ، فأعان قومٌ من المسلمين هذا الآخذ على اليهوديّ ، فمال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى قولهم ، فأطلعه الله على الآخذ وبرّأ اليهوديّ منه ، ونهاه عن مخاصمة

اليهوديّ ، وأمره بالإستغفار ممّا كان منه من معاونته الّذين كانوا يتكلّمون عن السّارق من غير تثبّت ومعرفة بالحقيقة ، هذا هو الإسلام ، تلك عدالة الإسلام .

" . . . وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى . . . ﴿8﴾ "

سورة المائدة.

إنّه دين لكلّ النّاس ، لا فرق بين عربيّ وأعجميّ ، ولا بين أبيض ولا أسود ، أمام شرع الله كلٌّ سواء .

من أجل ذلك يدخل في هذا الدّين النّاس أفواجًا من كلّ المعمورة .

هارون الرّشيدكان يقول كلّما نظر إلى سحابةٍ : إذهبي حيثما تشائين ، فإنّ خراجك راجعٌ إليّ .

وأنا أقول لكم الشّارد عن الله ، التّارك لدين الله ، يذهب حيث يشاء ، وفي النّهاية مرجعه إلى الدّين ، إلى الإسلام ، إلى الطّهارة ، إلى الصّلح مع الله ، وإلاّ لن يرتاح مهما بلغ ماله وسلطانه وكثرت تجارته ، ومهما حصل من المتاع لن يرتاح إلاّ في رحاب الإسلام وفسحة الإيمان .

و انظروا معي قصّة عبد الله بن رواحة مع يهود خيبر ، وقد اتّفقوا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد خراجها أن يشتروا منه نصفها ، فبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عبد الله بن رواحة ليقيّم التّمر ، فجمع له اليهود حليّ من حليّ نسائهم ليرشوه ، وإذا رشوه تقدّر بأقل فيربحوا ، فقالوا له : (**هذا لك وخفّف عنّا**) .

فقال : (**يا معشر اليهود ، جئتكم من عند أحبّ الخلق إليّ ، ولأنتم أبغض خلق الله إليّ ، ومع ذلك لا يحملني هذا أن أحيف عليكم ولا أزيدكم ، أمّا الّذي عرضتم عليّ من الرّشوة فإنّها سحت وإنّا لا نأكلها**) ، فلم يملك اليهود إلاّ أن قالوا : (**بهذا قامت السّماوات والأرض ، وبهذا غلبتمونا**).

فهو يقول لهم : (**رغم كرهي لكم وحبّي لرسول الله ، إلا أنّني لا أظلمكم مهما كان ، أمّا رشوتكم فلا حاجة لي بها**) .

هذا هو الإسلام ، بهذه الأخلاق عزّ الإسلام وعزّ المسلمون ، والّذين حملوا هذا الدّين إعتزّوا بمبادئه فأعزّهم الله و لم يلتفتوا يومًا إلى المظاهر .

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية :

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله ،

إخوتي الكرام ، حينما نعتزّ بمبادئ الإسلام ، يرفعنا الله تعالى ويهابنا العدوّ ، وحينما نعتزّ بالمظاهر نذلّ في الدّنيا ، ويسوقنا الأعداء حيث أرادوا .

في معركة القادسيّة ضدّ الفرس ، بعث قائد الفرس رستم إلى سعد رسالة ، يطلب فيها وفدًا للصُّلح ، وقد أحسّ الفرس بقوّة المسلمين ، فيجتمع سعد بمجلس حربه ، ويقول لهم : (**سأرسل له وفدًا عظيمًا من أصحاب الرّأي ، ليقيم الحجّة ويدعوه إلى الإسلام**) ، فيقول ربعي بن عامر : (**إنّ هؤلاء قوم تباهي ، وإن فعلنا يرون أنّنا إعتددنا بهم** (أي نحن خائفون) ، **ولكن أرى أن ترسل لهم واحدًا ليشعروا أنّنا غير مهتمّين بهم ، فيوهن ذلك قلوبهم**) ، قال : (**من نرسل ؟**) ، قال ربعي الّذي كان من عامّة الجيش ولكن كان سيّدًا في قومه : (**سرّحوني**)، وركب فرسه القصير الصّغير بذيلٍ قصيرٍ ، وهذا شيءٌ تهان به الخيول ، ويلبس ثيابًا بسيطةً لكنّها نظيفة ، وربط سيفه بشيءٍ غنمه من الفرس ، وفي هذا إذلال لهم ، وفوق رأسه السّهام ، وكان قد ظفر شعره بأربع ظفائر فكانت كالقرون ، ودخل على رستم في هذه الصّورة غير المعتادة ، فطلبوا منه أن ينزع سلاحه فقال : (**لا ! أنتم دعوتموني، فإن أردتم أن آتيكم كما أحبّ وإلاّ رجعت**) .

فقال رستم : (**ائذنوا له**) ، فدخل بفرسه على البُسُط (قدّرت بـــ 185 متر) ، ووجد الوسائد الموشّاة بالذّهب، فقطع إحداها ومرّر لجام فرسه وربطه به ، يريد أن يقول (هذه الأمور لا قيمة لها عنده ولإذلال الفرس)، ثمّ أخذ رمحه واتّجه إلى رستم وهو يتّكئ عليه ، والرّمح يدبّ في البسط فيقطعها ، ووقف أهل فارس في صمت وكذلك رستم ، وبينما هم يفكّرون في جلوسه ، جلس على الأرض متّكئًا على رمحه .

فقال له رستم : (**ما دعاك لهذا ؟**) ، أي الجلوس على الأرض .

فقال له : (**إنّا لا نستحبّ أن نجلس على زينتكم**) .

قال رستم : (**ما جاء بكم ؟**) .

قال ربعي : (**ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدّنيا إلى سعة الدّنيا والآخرة . فمن قبل ذلك منّا قبلناه ، وإن لم يقبل قبلنا منه الجزية ، وإن رفض قاتلناه حتّى نظفر بالنّصر**) .

فقال رستم : (**قد تموتون قبل ذلك ؟**) .

قال ربعي : (**وعدنا الله الجنّة لمن مات منّا ، وأن الظّفر لمن بقي منّا**) .

فقال رستم : (**أجِّلنا نأخذ رأينا**) .

فقال ربعي : (**نعم ، أعطيك كم تحبّ يومًا أو يومين ؟**) .

قال رستم : (**أعطني أكثر**) .

قال ربعي : (**أمرنا رسول الله ألاّ نؤخّر العدوّ عند اللّقاء أكثر من ثلاث ، الإسلام أو الجزية أو المبارزة في اليوم الرّابع ، وأنا ضامنٌ لك أن لا يحاربك المسلمون إلاّ في اليوم الرّابع**) .

فقال رستم : (**هل أنت سيّد القوم حتّى تضمن ؟**) .

قال ربعي : (**لا بل أنا رجلٌ من الجيش ، ولكن أدنانا يجير على أعلانا**) .

هذه عزّة الإسلام ، عزّة بدينٍ مبادؤه عظيمةٌ ، أخلاقه ساميةٌ ، أحكامه جليلةٌ ، ومن فقه كلّ ذلك أصبحت الدّنيا لا تساوي عنده شيئًا مهما كانت وعند من كانت .

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنًــا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين.
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بْقَوْمٍ فِتنةً فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين.
اللّهم إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك.
اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك.
اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة.
اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا.
اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها.
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين، اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين، إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.
سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.